وَسَائِلُ التَّغَلُّبِ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوَى فِي تَحْقِيقِ الأَخْلاَقِ الْحَسَنَةِ

١- الإِيمَانُ الْمَقْرُونُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ:

الإِيمَانُ الْمَقْرُونُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ يُصَحِّحُ الأَخْلاَقَ، وَيَحْمِي الإِنْسَانَ مِنَ الانْزِلاَقِ بِسَيِّءِ الْأَخْلاقِ ؛ فَالْخُلُقُ الْحَسَنُ ثَمَرَةٌ لِمَا يَحْمِلُهُ الإِنْسَانُ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هُنَا قِيلَ: إِنَّهَا الرِّزْقُ الْحَلاَلُ، وَقِيلَ: الرِّزْقُ الطَّيِّبُ الْحَسَنُ، وَقِيلَ: الْقَنَاعَةُ، وَقِيلَ: السَّعَادَةُ، وَقِيلَ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ يَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا بِسَعَادَةٍ وَفِي الآخِرَةِ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلاَقًا» [رواه أحمد، والحديث صحيح].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ»

[أخرجه البزار، وصححه الألباني].

٢- الإِخْلاَصُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [القيمة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» [متفق عليه].

فَالإِخْلاَصُ أَسَاسُ قَبُولِ الْعَمَلِ، وَالأَخْلاَقُ الْحَسَنَةُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الْعَبْدُ إِخْلاَصًا لِرَبِّهِ، لَيْسَ لِطَلَبِ جَاهٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

فَكَفُّ الأَذَى وَبَذْلُ النَّدَى وَطَلاَقَةُ الْوَجْهِ كُلُّهَا للهِ تَعَالَى؛ فَإِخْلاَصُ الْعَبْدِ الْعَمَلَ للهِ يَحْمِلُهُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، وَيَحْمِلُهُ إِخْلاَصُهُ عَلَى الأَنَاةِ وَالرِّفْقِ وَعَدَمِ الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ» [أخرجه أبو داود وحسنه الألباني].

٣- الْمُجَاهَدَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ» [مُتَّفَق عليه].

فَقَوْلُهُ: «يَتَصَبَّرْ»؛ أَيْ: يَتَكَلَّفُ الصَّبْرَ وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَلاَ يَحْتَجُّ بِأَنَّ هَذَا طَبْعُهُ، وَكَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ: غَيِّرْ جَبَلاً وَلاَ تُغَيِّرْ طَبْعًا. وَالرَّدُّ عَلَى هَذَا الْمَثَلِ: بِمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ».

وَكَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

فَالْمُجَاهَدَةُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَالشَّجَاعَةُ فِي ضَبْطِ النَّفْسِ، وَالتَّحَمُّلُ عَلَى اجْتِنَابِ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

٤- امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ...﴾ [الحجرات: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» [أخرجه أحمد وحسنه الألباني].

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

٥- الدُّعَاءُ:

وَهُوَ الاِلْتِجَاءُ إِلَى اللهِ لِيَرْزُقَهُ حُسْنَ الْخُلُقِ، وَيَصْرِفَ عَنْهُ سَيِّئَهَا؛ وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ اهْدِنِي لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وَالأَخْلاَقِ، فَإِنَّهُ لاَ يَهْدِي لِصَالِحِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ» [أخرجه الطبراني وحسنه الألباني].

وَمِنْ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

جمعه

الفقير إلى عفو الله ومغفرته

محمد بن سليمان المهوس

الدمام ٢٨ / ١٢ / ١٤٤٢ هـ